

□ رحلات الشيرازي صقلت خبراته وتجاربته الإبداعية

استقراره فيها أصدر عمليه الكبيرين البوستان والكلستان، فتاريخ صدور البوستان هو عام ٦٥٥ هـ أما الكلستان فصدر عام ٦٥٦ هـ.

ومن المفروض أن الشاعر لم ينظم عملاً كالبوستان وكتابا كالكلستان بهذه السرعة، بل إنه كان قد أعد مادتهما من قبل، ثم كان إصدارهما بعد استقراره في موطنه خلال هذه المدة الوجيزة.

وإلى جانب البوستان والكلستان نظم سعدي كثيراً من الغزليات والقصائد، وأبدع إبداعاً مرموقاً في هذين الفنّين، لقد عُده سعدي أستاذاً للفنّ الغزل.

فعلى يديه بلغ هذا الفن غاية نضجه. وهو الذي مهد السبيل لظهور شاعر الغزل العبقرى حافظ الشيرازي.

مشاركة لغوية:

بدراسة لأعمال سعدي ندرك أنه كان واسع المعرفة بالثقافة الإسلامية، وأنه كان يجيد العربية، إلى جانب براعته في لغته الفارسية^(١).

ويصور سعدي امتزاج الآداب الإسلامية تصويراً قوياً، ففي كليات سعدي وهي آثاره المجموعة قصائد عربية، وقصائد فارسية، وملحومات. وهذه الملحومات تقوم على المشاركة بين اللغتين العربية والفارسية.

وسعدي صاحب مشاركة وانفعال بما يجري في العالم الإسلامي.

وقصيدته التي رثى بها بغداد بعد تخريبها على يد المغول وقتل خليفة المسلمين المستعصم في سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م قصيدة مشهورة. وتعد شاهداً لنا فيما نقول، ولم يكتف بالشعر الفارسي في رثاء بغداد والخلافة الإسلامية بل نظم أيضاً شعراً عربياً في هذا المعنى^(٢).

ويعد الشاعر سعدي الشيرازي من أشهر شعراء الفرس الذين اقتبسوا من معاني القرآن الكريم. ومن أمثلة هذه الاقتباسات في أدب سعدي قوله: -

كانت ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه أول ما اتجهت إليه أنظار أدباء الفرس ولا غرابة في ذلك، فالمتمائل في مسيرة الأدب الفارسي يدرك أنه اعتمد كلية على الأدب العربي وكان الشعراء يفخرون بمعرفتهم باللغة العربية بنفس الدرجة التي يعرفون بها لغتهم الفارسية وأن مثل هؤلاء الشعراء كان يُطلق عليهم اسم (أصحاب اللسانين) تمييزاً لهم عن الشعراء الشعوبيين الذين اقتصر نظمهم على اللغة الفارسية فقط وكانوا قلة.

يذهب أكثرهم إلى أن الإشارة إلى الأماكن في أعمال سعدي - هي في أغلب الأحوال - من قبيل الخيال، وأننا يصعب علينا أن نرسم صورة لرحلاته من إشاراته إلى المدن والأقاليم. ومهما يكن من أمر فالظاهر أن رحلات سعدي قد حملته إلى مناطق مختلفة من العالم، وأنه قد اكتسب في رحلاته كثيراً من التجارب والخبرة بالحياة. وليست رحلات علماء المسلمين بالأمر العجيب، فقد سبقه إلى الترحال عشرات العلماء، وكذلك طاف بالعالم من بعده كثير من الرحالين.

ولقد عاد سعدي إلى موطنه شيراز نحو عام ٦٥٣ أو ٦٥٤ هـ في أواخر عصر أتابكة أبي بكر سعد بن زنگي. وهو من أتابكة فارس الذين نجحوا في تجنب إقليهم ويلات، الغزو المغولي، التي كانت قد أصابت العالم الإسلامي، ووصلت في مدها إلى كثير من مناطق إيران، ثم وصلت إلى عاصمة الخلافة بغداد عام ٦٥٦ هـ. وقد انتهى أمر أتابكة فارس عام ٦٦٢ هـ بعد أن عاش المتأخرون منهم اتباعاً للمغول.

أتيح لسعدي أن يستقر في مدينته شيراز - بعد عودته إليها من أسفاره - قرابة ثلاثين عاماً، قضاه في رعاية الأتابكة، ثم استطاع بعد زوال ملكهم أن يتقرب من المغول، وله مدائح تدل على نجاحه في اكتساب ثقتهم أو على أقل تقدير، في تجنب أذاهم.

ولقد كانت فترة إقامة سعدي في شيراز فترة خصوبة أدبية في حياته المديدة، فبعد قليل من

وعلى رأس الشعراء من أصحاب اللسانين الشاعر سعدي الشيرازي الذي ولد في شيراز بإقليم فارس في أواخر القرن السادس الهجري أو أوائل السابع. ويرى الباحث الإيراني المعاصر عباس إقبال، أن تاريخ مولده يقع بين عامي ٦١٠، ٦١٥ هـ (١٢١٣، ١٢١٩ م).

والظاهر أن هذا الشاعر قد فقد أباه في حداثة سنه، فهو يشير إلى ذلك في بوستانه، ويوصي بالإشفاق على اليتيم. ولقد تلقى سعدي تعليمه في شيراز حتى وفاة أبيه، وكان إذ ذاك فتى يناهز الثانية عشرة من عمره. ويروى أنه أكمل تعليمه في المدرسة النظامية ببغداد.

يقال إن سعدي - بعد أن أتم دراسته في المدرسة النظامية - قضى ثلاثين عاماً في الأسفار، وإنه زار آسيا الصغرى وجاهد ضد الروم، وحملته أسفاره إلى مسافات بعيدة شرقاً وغرباً، ولقد ورد في كتبه ذكر لمناطق مثل الشام وفلسطين والجزيرة العربية ومصر والمغرب والحبشة وآسيا الوسطى والهند.

أسفار متعددة:

ولقد دفع هذا بعض الباحثين لمحاولة استقصاء حياة سعدي من إشاراته إلى أسفاره في كتبه، ومن فعل ذلك هنري ماسيه في رسالته المعروفة عن سعدي، لكن محاولته هذه لم تلق نجاحاً كبيراً في الكشف عن حياة سعدي، كما أنها لم تلق قبولا لدى غيره من الباحثين، الذين

«يا شام»

شعر / مؤمنة أديب صالح

لا ينقضي يومٌ بغيرِ تاملٍ
أو تختفي شمسٌ بغيرِ تعليلٍ
لأنَّ سلطانَ التواجد سيدي
أو أن قاموسَ التذكّر منهلي
يا شامُ جرحك في الفؤاد قصيدتي
وشذا ربيعك شاغلي ومؤلّي
ترك الفؤاد حنانَ شامٍ أتّرع
حتى الجمّام من الجمّال الأول
شامٌ لها تهفو القلوب وتترجّي
عُوداً لسحر نسيمها المتمهل
تأوي إليك قلوبنا لكنمنا
تشكّو العيون من ابتعاد المنهل
يا شام دمّك مالح في وجنتي
وجراح عشقك شعلّة في مرجلي
أنّي لمثلي أن يروم تأسيماً
بعد الشّام فلا نعمتٌ بموئل
بعد الشّام أرى الفؤاد مشرداً
وأرى الجروح تكاثرت في مقتلي
طال النّوى والعمر يسرع بالفتى
والتيه يقطع في الفؤاد كمنجل
والعمر بعدك يا شام بفرحه
أو ضحكة أو نظرة لمؤمل
ستمّر أيامي كزراعٍ يابس
لا يترجّي غيثاً بيومٍ مقبل
وتهيج أحزاني وتزهر حسرتي
ويشور إعصاري فيطفئ مشعلي
لا النأي يرحم أو يعوّد مشرد
أو ينقضي زمن الرحيل بمقتلي
ستطول ساعاتي بأرض تغربي
ويميل دمعي تحت جفنٍ مسبل
قالوا حرام أن تموت مشرداً
عدّ للشّام وللزّمان الأول
فأقول ماتت في الشّام يمامتي
والقلب ينكر للرجوع توسلي
ما هذه شام الطفولة والهوى
شام الأصالة طيرها يشتاق لي

بنكرش هرجه بيني درخروشت
ولي داند درين معنی كه كوششت
نه بلبل بركلش تسبیح خوانیست
كه هرخاری به تسبیحش زبانست
ومعناه:

كل ما تراه في هذا الكون مشغول بذكره
يدرك هذا المعنى كل من كان له أذن
وليس البلبل هو الذي يسبح وحده فوق الورود
ولكن كل شوكة لها هي الأخرى لسان تسبح به
أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: -

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾.

أو قوله تعالى: -

﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾.

ومن ذلك أيضاً قول سعدي: -

زن بد درسرای مردنکو
هم درین عین المست دوزخ او
زینهاراز قرین بد زینهار
وقتا ربنا عذاب النار
ومعناه:

إن المرأة السيئة في بيت الرجل الصالح،
تذيقه عذاب جهنم في هذا العالم فاحذر من قرين
السوء احذر، وقتنا عذاب النار.
وقوله:

أي قناعت توانگرم كردان
كنه وراى توهیج نعمت نیست
کنج صبر اختیار لقمانست
هرکرا صبر نیست حکمت نیست
ومعناها:

إيتها القناعة أغني، فليس بعدك نعمة.
وقد اختار لقمان كنز الصبر، وكل من لا صبر
له، لا حكمة له.

مأخوذ من قوله تعالى: ﴿واصبر على ما

أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾.
ويقول سعدي في خطيب كريبه الصوت إن
صوته كنعيب غراب البين وفي حقه آية ﴿إن أنكر

الأصوات لصوت الحمير﴾.

ويقول سعدي:
جو دوخ كه سيرش كنند از وقيد
دكر بانك دار دكه هل من مزيد
ومعناه:

حين تمتلئ جهنم بالوقود
تصبح مرة أخرى هل من مزيد
أخذه من قوله تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هل

امتلاّت وتقول هل من مزيد﴾^(٣).

(١) د. محمد عبد السلام كفاقي - في الأدب المقارن -
دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي - ص ٥٣١ -
دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٢ م.

(٢) د. طه نندا - الأدب المقارن - ص ١٠٩ - دار
المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٧ م.

(٣) د. طه نندا - الأدب المقارن - ص ١٣٠ - دار
المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٧ م.

دعني

شعر الدكتور / محمد بن سعد الدبل

دعني وشأني - وإن هزتك أشجاني
خمسونَ عاماً رعتُ قلبي حوادثها
كم أبعد العروضُ لي بيتاً أردده
وكم دعوتُ الصبأ غصاً لأمنحه
وكم سمعتُ الحسناتِ إلى غزلي
الأنس تُشيدُه قيثارتِي نغماتِ
طيف الكرى يزرع القلب الشجي به
دعني فما عادت الذكرى تـؤرقني

تعال نصدح بأنغام مرردة
لا أنكر الحب لكن صفحتي ملئت
ما كان ضررك لو أشدت قافية
ذقت الطعموم فأه من مرارتها
فرحت أنشد أنغامِي مجسدة

أرسلتها وفؤادي غير مـشـح
الفخر بالأمس في طبع الفتى خور
عابوا علي قصيدي حين أنظمه
قالوا: بكيت على الماضي ودولته
قلت: البكاء غدا في عُرف حاضرنَا

أمسي تولى فمافي عمري الثاني؟
متى فزعتُ إلى شعري تحذاني!!
أغنية والعيون النجل ترعاني
ما يشتهي بين سمار وخلان
الثغر والسحر في العينين أغراني
وهاتف الشوق ألقاه ويلقاني
حبي وشوقي وتهيامي وتحناني
ودعتها كبرياء العاتب الجاني

منك المعازف والتـرجـيع الحاني
بهم أهلي وما تشكوه أوطاني
تنأى بمثلك عن هزل وعصيان
أقصرُ فنفسي ذقت حلو إيماني
من روح كعب ومن إنشاد حسان

بفخر ماض ولا تسويف حيران
فجدد العهد واخلع ثوب خذلان
فيما يـؤجـج أهاتي وأحزاني
وحاضر اليوم تحياه بنكران
شرع المغلدين في عسف وطغيان

أدعمعة الشعـر عبثـم حين أرسلـها
رأسـ البليـة أن يجتـاح خـاطـرتي
المسلمـون قـرايـن الوغـى نُحـرت

نوحـ الثكـالي ودمعـ الطفـل يسـعدهم
هدمـ المآذن لم يوقـد عزائمنا
في كل أرض جـيوش الكفر ضاربـة
هل من غـيـور على الإسلام ينصـفه

يا لائمي في دمـوع الشعـر أسـكـبها
على المغـاويـر من عـجم ومن عـرب
إسلامنا وحـد الأعراق في نسب
حطين شاخـت وعمـوريـة احترقت
يا عـاذلي أن أروـد الفن تلهمني
وأن أردد في سـكـر الهـوى نغمـا
أيطربـ الشعـر والأعداء هادرة؟

دعني وشأني فقد حررت قافيتي
أرسلتـها درة عصمـا محررة
إني إلى الله ماض صابر أبدا
ضعني على النار أو ضعني على نهـر
ضعني على سـلـة الهيجـا فبى شـغف
حب الشهـادة أغـراني وأطمعني
دعني فحسبي أن الصـدق من خلقي
لأسكن القـوافي من رحيق دمي

مستذكرا مجد سادات وفرسان؟
عسف ببغداد أو آفاق لبنان
ظلمـا بهرسك — من أفعال صربان

أواه من طغمة تعدو بقضبـان
وإن علا صوت نـاقـوس بضـبان
تصلي الذراري بنشـريـد ونيران
من عصبـة الكفر شر الإنس والجـان؟

على المغـاويـر من أسـاد قحـطان
من المحيط إلى أطراف جـرجـان
سلمـان فارس أدرك بنت مروان
والقـادسيـة في طيـات نسيـان
إبداعه شاديـات الرؤـس والبان
كي ترقص الغـيد في اللقيـا لهيـمان
قل لي — بربك — ما يوحى النقيضان؟

من غربة الفن فالتغريب أضـناني
من ربقـة الفسق من شـرك وكفران
زادي صـالاتي وتسبيحي وقـراني
لله رُوحـي ولـالأعداء جثمـاني
للموت دون قـداسـاتي وأوطـاني
لا كان من مـات عن ذل وخـسران
أراقب الله في سـري وإعـالاني
لنصـر ديني وآبائـي وإخـوانـي